

الفائق في غريب الحديث

وكذلك كان يوم مات رسول الله ﷺ A أدْغَلَ النَّاسُ مِنْ بَيْتِنَا مُدَّعٍ إِمَارَةً وَجَاهِدٍ زَكَاةً ; فلولا اعتراضُ أبي بكرٍ دونَها لكانت الفضيحة . ويجوز أن يريد بالفلتة الخلسة يعني أن الإمارة يوم السَّقِيْفَةِ مالت إلى تَوَلَّيْهَا كُلُّ نَفْسٍ وَنَيطَ بِهَا كُلُّ طَمَعٍ ولذلك كثر فيها التشاجر والتجاذب وقاموا فيها بالخطب ووثب غيرُ واحدٍ يستصوبها لرجُلٍ عَشِيرَتِهِ وَيُبْدِي وَيُعِيدُ فَمَا قُلَّ دَهَاهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَّا انْتِزَاعًا مِنَ الْأَيْدِي وَاخْتِلَاسًا مِنَ الْمَخَالِبِ وَمِثْلُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ جَدِيدَةٌ بِأَنَّ تَكُونَ مُهَيَّجَةً لِلشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ فَعَصَمَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَى ! التَّغْرِيبُ : مصدرٌ غَرَّ ربه ; إذا ألقاه في الغرر . والأصل خوفٌ تَغْرِيبٌ فِي أَنْ يُقْتَلَ ; أي خوفٌ إخطارٍ بهما في القتل . وانتصابُ الخوفِ على أنه مفعولٌ له فحُذِفَ المضافُ وأقيم المضافُ إليه مَقَامَهُ وَحُذِفَ حرفُ الجرِّ . ويجوز أن يكون : أن يقتلا بدلا من تَغْرِيبٌ وكلاهما المضافُ محذوفٌ منه . وإن أُضِيفَتِ التَّغْرِيبُ إِلَى أَنْ يُقْتَلَ فمعناه خوفٌ تَغْرِيبٌ قَتَلَهُمَا عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى : بَلْ مَكَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . والضميرُ في منهما للمبايعِ والمبايعِ الذي يدلُّ عليه الكلامُ ; كأنه قال : وأيُّما رجلٍ بايعَ رجلاً . والمعنى أنَّ البيعةَ حَقٌّ هَا أَنْ تَقَعَّ صادرةٌ عن الشورى فإذا استبدَّ رجلان دون الجماعة بمبايعةٍ أَحدَهُمَا الآخرُ فذلك تظاهرٌ منهما بِشَقِّ الْعَصَا وَإِطْرَاحِ لِلْبِنَاءِ عَلَى أُسَاسٍ مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةُ فَإِنْ عُقِدَ لِأَحَدٍ فَلَا يَكُونَنَّ الْمَعْقُودُ لَهُ وَاحِدًا مِنْهُمَا وَلِيَكُونَ مَعزُولِينَ مِنَ الطَّائِفَةِ الَّتِي يُتَّسَقُّ عَلَى تَمْيِيزِ الْإِمَامِ مِنْهَا ; لِأَنَّهُ إِنْ عُقِدَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا وَهُمَا قَدْ ارْتَكَبَا تِلْكَ الْفَعْلَةَ الْمَضْغِنَةَ لِلْجَمَاعَةِ مِنَ التَّهَاوُنِ بِأَمْرِهَا وَالاسْتِغْنَاءِ عَنْ رَأْيِهَا لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَقْتُلُوهُمَا .

فلعل علي رضي الله عنه قال أبو عبداً السُّلَمِي : خرج علينا علي وهو يَتَغَلَّظُ لِفَلِّهِ وَكَانَ كَيِّسَ الْفَعْلِ وَرَوَى : يَتَغَلَّظُ لِقَلِّهِ وَرَوَى عَبْدُ خَيْرٍ عِنْدَهُ أَنَّهُ خَرَجَ وَقَتَ السَّحَرِ وَهُوَ يَتَغَلَّظُ لِفَلِّهِ فَسَأَلْتَهُ عَنِ الْوَتْرِ فَقَالَ : نَعْمَ سَاعَةَ الْوَتْرِ هَذِهِ !